أبوالفداء سامي التوني*

الجوَاهِر المُضيَّة في طَبَقَات الحَنَفِيَّة

لعبد القَادِر القُرَشِيّ[1]

تأخر الأحناف في تأليف طبقات علماء مذهبهم إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وسبقهم غيرهم، ولم يكن كتاب "الجَوَاهِر المضِيَّة في طَبَقَات الحَنَفِيَّة"[2] (أو: "طبقات الحنفية" –كما يطلق عليه في بعض الأحيان) أول مؤلف في تراجم أتباع المذهب الحنفي فقد سبقه في هذا الشأن مؤلفان لم يكتب لهما الذيوع،[3] لكنه بلا ريب أول كتاب في تراجم الأحناف كُتِبَ له الزيوع والشهرة، ألفه عبد القادر القرشي دون أن ينسج على منوالٍ سابق وكان ثمرة جهدٍ استغرق طيلة عمره.

---

* باحث متفرغ للتحقيق العلمي لكتب التراث samy_amz@hotmail.com

1 هو: عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم، ابن أبي الوفاء، القرشي، الحنفي، المصري، محيي الدين، أبو محمد (696 هـ/ 1297 م- 775 هـ/ 1373 م)، فقيه حنفي، محدث، حافظ، عالم بالتراجم، مشارك في علم الكلام والتاريخ والنحو واللغة. ولد وتوفي بالقاهرة، اشتهر بكتابه الجواهر المضية في طبقات الحنفية، وله أيضاً: البستان في مناقب النعمان، الاعتماد في شرح الاعتقاد، الأنوار الساطعة في أحكام الجملة القاطعة، أوهام الهداية، البستان في مناقب إمامنا النعمان، ترتيب تهذيب الأسماء واللغات للنووي، الدرر المنيفة في الرد على ابن أبيَ شيبة عن الإمام أبي حنيفة، العناية في معرفة أحاديث الهداية للمرغيناني، ...

2 وانظر: د. عبد الفتاح الحلو: مقدمة تحقيق: الجواهر المضية 5/1 [م]: 58 [م]. (وهي ترجمة نفيسة).
يكاد هذا الاسم أن يكون متفقاً عليه، فهو ما نص عليه مؤلفه في آخر خطبة الكتاب 1/ 12 ، وهو العنوان الذي طبع به تحقيق د. عبد الفتاح الحلو للكتاب، وهو تحقيق علمي موثوق به، وبه ذكره ابن حجر: إنباء الغمر66/1، ابن العماد: الشذرات 238/6، الكنوي: الفوائد البهية ص99، حاجي خليفة: كشف الظنون 616/1، البغدادي: هدية العارفين 596/1، لم يخالف سوى ابن فهد في لحظ الألحاظ ص157 الذي سماه: طبقات الفقهاء الحنفية، ولعله أراد المعنى لا النص على اسمه.

3 سبق القرشي في التأليف في هذا الصدد –كما أفاد د. عبد الفتاح الحلو 58/1 [م] – بكتابين، هما:
1. وَفيات الأعيان من مذهب النُّعمان، إبراهيم بن علي بن إبراهيم، نجم الدين، الطرسوسي (–758 هـ) (انظر: كشف الظنون 2019/2، 1098 ، الجواهر المضية رقم 148 ، قد ذكره باسم: أحمد بن علي)
2. تاريخ كبير لفقهاء الحنفية، جمعه عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن المهندس، صلاح الدين (–769 هـ) (انظر: الدرر الكامنة 282/2 ، كشف الظنون 2 /1099).
وقد خمل ذكرهما حتى جهلهما عبد القادر القرشي –الذي تصدى للأمر وأمضى فيه عمره– جهلا تاماً دلَّ عليه نصه في خطبة الكتاب أنه غير مسبوق، مع أنه هو العليم بعلماء الأحناف، كما احتجب أمرهما عن حاجي خليفة وهو العليم بالتصانيف فقطع بأن القرشي

كانت نَفْسُ محيي الدين عبد القادر ابن أبي الوَفَاء القُرَشِيّ الحَنَفِيّ المصري –منذ بداية طلبه العلم– تتشوف إلى جَمْعِ كتابٍ في طبقات رجال مذهبه، فإن أرباب المذاهب المتبوعة كُلٌّ منهم أَفْرَدَ أصحاب إمام مذهبه، ولم يَرَ أحداً جمع طبقات الحنفية، وهم أُمَمٌ لا يُحصون، فيمنعه العجز عن الإحاطة ببعض هذا الجَمّ الغفير –كما يقول– وتتبع الكتب المصنفة في ذلك.

ولقد لقيت هذه الرغبة حَثًّا من أساتذته، وعوناً له بالمصادر والمراجع، ورعاية لعمله بالنصح والتسديد[4] فمضى في الطريق إلى منتهاه.

ولا ندرِي متى كانت بداية التأليف إلا أنا نعلم أن الرغبة كانت قديمة قِدَم طلبه للعلم[5] –كما رأينا– حَشَدَ لها هِمَّةَ ومصادر عدة، حتى إذا كانت سنة 759هـ[6] وكان قد بلغ الثالثة والستين من عمره كان قد بلغ منتصف الطريق فقد كان قد بلغ حرف العين سنة –وهو نحو منتصف الكتاب–، وبقي النصف الآخر الذي أنجزه في السنوات الست عشرة الباقية من عمره.

توخى عبد القادر القرشي في عمله الإحاطة بهذا الجم الغفير من الأحناف، يتضح هذا من تقصيه إياهم من كتب الفقه والتراجم والتواريخ والمعارف العامة، وبعضهم يذكره بكنيته أو لقبه أو بشهرته أو بمسألة من المسائل وفق ما يقع له من معلومات عن الشخصية، وقد يجد تعارضاً في بعض الكتب أو تشابها في

أول من صنف في وقال في كشف الظنون: 617/1 عند حديثه عن الجواهر المضية: "... وفيه لحن كثير وتصحيف لأنه أول تأليف فيه، والرجل معذور" وقال في 1097/2 بصدد حديثه عن المؤلفات في طبقات الحنفية: "أول من صنف فيه الشيخ عبد القادر بن محمد القرشي –صاحب الجواهر المضية في طبقات الحنفية كما قال في خطبته، ولم أر أحداً جمع طبقات أصحابنا وهم أمم لا يحصون فجمعها...".

4 راجع خطبة الجواهر المضية 9/1 وما بعدها.

5 وطلبه للعلم قديم، هذا هو الصواب أن القرشي طلباً لعلم باكر بخلاف قول الحافظ ابن حجر. انظر: 392/2، د. عبد الفتاح الحلو: مقدمة تحقيق الجواهر المضية 38/1 [م]: 39 [م]. وقد قال الحلو (مقدمة التحقيق 59/1 [م]): "في كتابه ما يدل على تنبهه وهو صغير على ما يفيده في جمع تراجم الحنفية، حيث يذكر في ترجمة محيي الدين السنّجاري أنه رآه يقرأ الدرس على قاضي القضاة السَّروجي بالمدرسة السيوفية وأنه مات قديما بعد العشر وسبعمائة" (الترجمة 2101).

6 ذكر هذا في ترجمة حسام الدين الرازي (الترجمة 950).

بعض الكنى والألقاب، أو اضطراباً في استعمال الرموز للأصحاب في بعض كتب الفقه، لكن هذا لا يصده عن غايته أبداً.

افتتح القرشي كتابه: بـ (**خطبة**) حكى فيها دافعه وراء التأليف، دون أن يذكر مصادره المعتمدة وإن أثنى على بضعة كتب –سماها– أمده بها شيوخه وانتفع بها انتفاعاً عظيماً.[7]

ثم أفضى إلى (**مقدمة الكتاب**) التي قسمها ثلاثة أبواب: الأول في أسماء الله الحسنى، والثاني في طرف من شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فذكر كُنَاه –صلى الله عليه وسلم– ونَسَبه وأسماءه وأبناءه وبناته وزوجاته وسراريه ومواليه ومؤذنيه نحو ذلك)، والثالث في: طرف من مناقب الإمام أبي حنيفة (التقطه من كتابه: "البستان في مناقب إمامنا النعمان.")

ثم أفضي إلى الطبقات، فبدأ بالأسماء ثم الكنى، ثم الأنساب، ثم الألقاب، ثم ختم بكتاب (**الجامع**) الذي ضم فوائد.

والتزم القرشي الترتيب الهجائي في أسماء المترجمين وأسماء آبائهم وأجدادهم أيضاً، وإن قَدَّمَ في حرف العين مَن اسمه (عبد الله) على غيره من العبادلة، كما افتتح الميم بمن اسمه (محمد)،[8] وهو يأتي في آخر كل حرف بمن لم يُذكر أبوه باسمه وإنما جاء بلقبه أو شهرته أو نسبه. وقد يضطرب الترتيب عنده في بعض المواضع،[9] وقد يعيد الترجمة أحياناً إن اطلع على اختلاف في اسم المترجم بالزيادة والنقصان أو التقديم والتأخير.[10]

وقد اشتمل الكتاب على (2124) ترجمة غَلَبَ عليها الاختصار، ساق في كل ترجمة ما اتصل به عن الشخصيات من الأسماء والألقاب والكنى والنِّسَب وتاريخ المولد والوفاة وموضعهما وشيء من أسماء شيوخه وتلامذته وطرف من سيرته ومؤلفاته وفائدة أو فوائد مما بتعلق بها، ونحو ذلك.

---

7 أحصى د. عبد الفتاح الحلو مصادره التي صرح به في الكتاب فبلغت 168 مصدراً. (انظر مقدمة التحقيق 61/1 [م]: 74[م].

8 توقيراً لامسه صلى الله عليه وسلم وهو مسلك الكثير من السلف والخلف أيضاً.

9 مثلاً التراجم: (82، 81، 718، 719، 720، 1009، 1010، ...)، وانظر 75/1 [م] هـ3.

10 استدرك عليه التميمي في الطبقات السنية أنه ترجم أحمد بن إبراهيم بن داود المقري في (أحمد بن البرهان) وقال: "كأنه لا يعرف أصل اسمه". (الطبقات السنية رقم 119، 165).

قال د. عبد الفتاح الحلو: "... وقد شدد عبد القادر على نفسهن والناظر في كتابه يدرك أنه أنعم النظر كثيراً فيكتب الفقه، والتقط منها كل اسم يرد فيها، وكذلك الكنى والأنساب والألقاب، وهو يؤكد ذلك حين ينص على أن المترجم تكرر ذكره في كتاب كذا وكتاب كذا ...إلخ،[11] ويحظى كتاب "الهداية" للمَرْغِيْنَاني وكتاب "القُنْيَة" للزَّاهِدِي بحظ وافر من اهتمامه."[12]

"والمنهج المَوَسَّع الذي سار عليه المصنف ألقى بين يديه عدداً هائلاً من المترجمين يعرف أسماءهم أو كناهم أو أنسابهم أو ألقابهم ولكنه لا يجد الزاد الذي يملأ به تراجمهم فيكتفي بأن يعرف المترجم بكتاب له أو رسالة أو بشهرته في كتب الأصحاب أو بالرُّفقة أو بأنه أستاذ فلان أو تلميذ فلان، أو بمجرد النقل عنه، أو بذكر مسألة له، وقد لا يدل على مصدرها، أو ترجمة رجل لا يدري من هو."[13]

ولقد بذل المؤلف من التقصي ما بذل إلا أن الكتاب وقعت فيه أخطاء لا تنقص من قدره فقد أدخل في الأحناف ما ليس منهم، كما تصحفت بعض الأسماء كما وقع في الجمع والتفريق بين شخصين يجعلهما واحدا أو رجل يجعله اثنين، كما فاتته جملة استدركها من صنف بعده حتى جاء التميمي في كتابه الجامع "الطبقات السنية" ليتم ما قصده القرشي.[14]

ولقد عُرِفَ الكتاب قديماً، ورواه عن مؤلفه تقي الدين المقريزي،[15] واعتمده واستفاد منه كثير من المؤلفين.[16] وقد كتبت حواش وذيول على الكتاب منها: "نظم الجُمَان" لإبراهيم بن محمد ابن دُقْمَاق (-790هـ)،[17] و"المرقاة الوفية" للفِيْرُوزَابَادِيّ (-817هـ) (وهو مختصر للجواهر مع بعض الزيادات)،[18]

---

11 مثل الحلو هنا إلى بالتراجم 179، 204، 596.

12 مقدمة تحقيق الجواهر المضية 75/1 [م]: 76 [م].

13 السابق 7/1 6[م].

14 للتفصيل في نقد الكتاب: انظر د. الحلو: مقدمة تحقيق الجواهر المضية 78/1 [م]: 83[م] (أورد فيه 22 ملاحظة هامة).

15 أثبت ذلك ابن السابق على صفحة العنوان لنسخة مكتبة أحمد الثالث (رقم 2726) من الكتاب. انظر: مقدمة تحقيق الجواهر المضية 88/1 [م]: 89[م]).

16 انظر مثلاً: الداودي: طبقات المفسرين 386/2. (وفيه تصريحه أن الكتاب أحد مصادره في تأليف: طبقات المفسرين).

17 اطلع على مخطوطه بعض العلماء قديماً، وكتب على حاشيته أنه لا يزيد إلا قلي لا جداً عن مختصر الفيروزآبادي الذي عمله على طبقات القرشي مع زيادات قليلة. انظر كشف الظنون 1098/2

18 أفاد بذلك حاجي خليفة (كشف الظنون 1098/2)، وانظر الحلو 74/1 [م] فهو هام

وتلخيص إبراهيم بن محمد الحلبي (- 956هـ)،[19] كما يُظَنُّ أن لأبي الفضل محب الدين محمد بن محمد الثقفي الحلبي، المعروف ابن الشحنة الصغير (- 890 هـ) حواش عليه.[20]

وللكتاب طبعة نفيسة بذل فيها محققها قصارى جهده بما عُرِفَ به من دقة وأمانة ومعرفة بالتراث، هو د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، 1398هـ/1978م، درأ عنها ما وقع في أصولها الخطية من أخطاء وخلط وتحريف، واعتمد على ثلاث نسخ خطية، واتخذ أصلاً للتحقيق مخطوطة مكتبة البلدية (بالإسكندرية) (رقم ن 1320-ب)، وهي نسخة عتيقة كُتبت سنة 779هـ، بخط تلميذ المؤلف، فرغ من تعليقها في 779/12/16هـ، وقد قرأها عليه مرات وأجازه بها، وقوبلت بأصل المؤلف الذي نُقِلَت منه، وعليها بلاغات كثيرة بالمقابلة، وفي حاشيتها استدراك لأبي بكر ابن قاضي شهبة.

---

19 انظر: كشف الظنون 617/1، والحلو 46/1[م]: 47 [م])

20 راجع: السخاوي: الضوء اللامع 295/9، الداودي: طبقات المفسرين 87/1، كشف الظنون 627/1، 1098/2: 1099، البدر الطالع 263/2، الحلو: مقدمة تحقيق الطبقات 1/[م] وها3.